الهجرة غير الشرعية و علاقتها بأزمة الهوية عند المراهق الجزائري

الأستاذة: بن عامر زكية
كلية العلوم الإجتماعية و الإنسانية
جامعة الدكتور مولاي الطاهر – سعيدة
benameurz@yahoo.com

تاريخ الارسال : 2018-02-20 / تاريخ القبول: 2018-06-13 / تاريخ النشر 2018-09-15

Abstract :

The phenomenon of illegal immigration has become a problem and contemporary issues for many governments and communities. Algeria has become one of the countries that records the rise and spread of this phenomenon among members of society, especially adolescents. Where this age is considered a central and transitory stage, through which this teenager seeks to realize his personal identity and social status; through the formation of personal, social and demonstrable identity as an independent unit. And if he does not, he will experience an identity crisis that will make him resort to non-social and illegal behavior such as illegal immigration.

The question we are asking here is: can the adolescent problem or identity crisis cause illegal immigration?

Keywords: Illegal immigration, identity, identity crisis, teenager.

الملخص:

أصبحت ظاهرة الهجرة غير الشرعية من المشكلات والقضايا المعاصرة التي تواجه العديد من الحكومات والمجتمعات ! و الجزائر من بين الدول التي أصبحت تسجل تزايدا وانتشارا واسعا لهذه الظاهرة بين أفراد المجتمع لاسيما فئة المراهقين ، حيث تعتبر هذه الظاهرة بين أفراد المجتمع ، لا سيما فئة المراهقين ، حيث تعتبر هذه المرحلة المعمرية، مرحلة مركزية وانتقاليه يسعى من خلالها هذا المراهق إلى تحقيق ذاته ومكانته الاجتماعية من خلال تكوين هويته الذاتية والاجتماعية ، وإثباتها كوحدة مستقلة ، أمّا إذا فشل في ذلك ، فإنه سيعيش أزمة هوية تجعله يلجأ إلى سلوكات غير إجتماعية ولا قانونية كالهجرة الشرعية ، وهنا نطرح السؤال التالي : هل يمكن أن تكون مشكلة أو أزمة الهوية عند المراهق سببا في الهجرة غير الشرعية؟

الكلمات المفتاحية: الهجرة غير الشرعية – الهوية – أزمة الهوية – المراهق.

مقدمة:

إنّ مصطلح الهجرة غير الشرعية ليس بالمصطلح الحديث سواء على المستوى التاريخي القانوني وحق النفسي والاجتماعي، لكنها ظاهرة أصبحت تعرف تسارعا في وتيرتها وتفاقما اثارها على الدّول والمجتمعات،فالجزائر مثلا سجلت محاولة هجرة غير شرعية ل 2000 شخصا خلال سنوات (2005-2006-2007) ، ممّا يستدعي دراستها أكاديميّا وتحليلها بشكل علميّ لمعرفة أسبابها وسُبل علاجها[1]، فما هي الهجرة غير الشرعية كمصطلح؟ وما هي أهمّ أسبابها؟

1. تعريف الهجرة غير الشرعية:

للوصول إلى تعريف شامل لهذا المصطلح، كان لابد من التدرج في تعريفه بدءا بالتعريف اللغوي:

فالهجرة لغويا: هي من الفعل "هجر"، " يهجر"، " هجرا"، حيث نقول هجر الشيء، بمعنى تركه، وهي الخروج من أرض إلى أخرى ومفارقة البلد إلى غيره[2].

أما في اللغة الفرنسية فتشير كلمة " Emigre" إلى الشخص الذي يغادر إقليم بلده مهاجرا إلى بلد آخر[3]. وعليه يتكون مصطلح " الهجرة غير الشرعية في لفظين مركبين " الهجرة" والذي يشير إلى الإنتقال من مكان إلى آخر، ولفظ " غير الشرعية"، والذي يدل على الصفة غير القانونية المصطلح السّابق، وبالتالي فالهجرة غير الشرعية، مصطلح يعني في مدلوله حركة الفرد أو الجماعة بطريقة مخالفة للقواعد الأمنية والتشريعات الدّولية، وبالتالي هي انتقال عابر للحدود ظهر مع بداية القرن العشرين بعد إقرار الحكومات الأوروبية غلق حدودها خلال القرن الماضي[4].

- أمّا إصطلاحا: فقد تعدّدت التعاريف حول هذا المصطلح، نظرا لتعدد المفاهيم المحددة من طرف الدّول لاختلاف الأغراض والأهداف التي ترمي إلى تحقيقها[5]. ومن جملة هذه التعاريف من تشير إلى أنّ: الهجرة غير الشرعية هي الإنتقال من دولة إلى أخرى دون تأشيرة أو تصريح بالإقامة سابق أو لاحق للعيش بها بطريقة غير مشروعة[6]، كما يشير تعريف آخر إلى أنّ الهجرة غير لشرعية هي الانتقال من الوطن الأم إلى الوطن المهاجر إليه، للإقامة فيه بصفة مستمرة وبطريق مخالفة للقواعد المنظمة للهجرة بين الدّول طبعا لأحكام القانون الداخلي والدولي[7].

ويعرف المشرع الجزائري الهجرة غير الشرعية حسب الأمر 211/66 المؤرخ في 21 جويلية 1966، بأنها دخول شخص أجنبي إلى التراب الوطني بطريقة سرية أو بوثائق مزورة بنية الإستقرار أو العمل. وحسب هذه التعاريف: فمصطلح الهجرة غير الشرعية: يتغير ويختلف وفقا للإتجاهات أو المجالات الأكاديمية كعلم

السكان أو الديمغرافيا مثلا: علم الاجتماع، القانون وغيرها، أمّا في علم النفس، فالهجرة غير الشرعية تشير إلى موقف عقلي وذهنيّ، و لايقتصر على الإنتقال الجسدي فقط أي أنّها توجّه شخصيّ ونفسي يسعى من خلاله المهاجر إلى تحقيق حاجاته المادية والمعنوية وتحقيق ذاته، بالإضافة إلى أسباب أخرى يمكن أن تدفع المراهق أو الشاب إلى الهجرة، والتي قد تكون أحيانا فعلا قسرياً أو إجبارياً وليس اختياريًّا ومن جملة هذه الأسباب نذكر بصفة عامة:

2. أسباب الهجرة غير الشرعية عند المراهق الجزائري:

رغم ما يكشف الهجرة غير الشرعية من مخاطر وصعوبات، إلاّ أن قوارب الموت الصّغيرة لازالت تنقل يوميّا عبر عرض البحر المتوسّط، شباب تجمعهم أسباب عديدة منها ما يتعلق:

- بالجانب الإقتصادي والإجتماعي: فكثيرا ما يكون هذا العامل في مقدمة الأسباب، ولكنه ليس الوحيد، وهي عادة تسمّى بالأسباب الكلاسيكية لأنها كانت العامل الأصلي لظهور الهجرة غير الشرعية ومن بينها نجد:
- انتشار البطالة وبالتالي الفقر
- قلة فرص العمل خاصة لفئة المراهقين والحاصلين على شهادات جامعية أو مهنية
- انخفاض الأجور وبالتالي القدرة الشرائية
- ضعف مستوى التنمية والخدمات التي توفرها الدّولة.
- التفكك الأسري
- الجانب السياسي والأمني: فكثيرا ما يكون عدم الإستقرار السّياسي والأمني دافعا للهجرة إلى الخارج، فالجزائر مثلا عرفت تعاقب عدّة حكومات ، وخصوصا في العشرية السّوداء ، وما خلفته ، من حالة عدم الأمن لدى الفرد الجزائري.
- – في حين تستهدف هذه الظاهرة فئات عمرية شابة غالبا في فترة المراهقة والتي تُعرف على أنّها فترة انتقالية من الطفولة إلى البلوغ، والتي تتميّز بتغيرات فيزيولوجية ،نفسية و اجتماعيه فقد عرفها Shall شال "بأنّها مرحلة مميّزة من حياة الفرد هي فترة عواصف وتوتر وشدة تسودها المعاناة الصرّاع والأزمات النفسية، حيث يعود سبب التوتر إلى مجموع التغيرات التي طرأت في جميع النواحي"[8].

كما عرّفها جوزيف ليفي وبول جويف j.leifet et P. Juif من الناحية الزمنية على أنّها امتداد حوالي الحادية عشرة والثانية عشرة تقريبا حتى العشرينيات من حياة الفرد متأثرة بعوامل النمو البيولوجية والفسيولوجية وبالمؤثرات الاجتماعية[9].

– أمّا من الناحية النفسية: فيشير حامد عبد السلام زهران، أنّها مرحلة يسعى خلالها الفرد إلى تحمل المسؤولية، توجيه الذات وذلك بتعرفه على قدراته، اتخاد القرارات، ومواجهة النفس والحياة والتخطيط المستقبل[10]، وفي بعض الأحيان قد يفشل المراهق في مجابهة هذه التغيرات ، مما يجعله يعيش حالة من عدم الإتزان النفسي ، وذلك لعدم القدرة على استيعاب وضبط انفعالاته وتوجيهها في اتجاه إيجابي، فقد يجعل هذا التطور الفيزيولوجي والنفسي، المراهق يعيش صراعات واضطرابات علائقية، وقد تقترن هذه الاضطرابات ببحث المراهق عن "هويته"، فمن أصعب ما يواجه المراهق في هه المرحلة هو تطوير " هويته الذاتية"، فهو يعيش في صراع داخلي بين نفسه ومجتمعه بمعاييره واتجاهاته الإيديولوجية فينشأ ما يسمى " بأزمة الهوية" ، وقبل أن تتطرق إلى هذا المفهوم لابد من تعريف مصطلح "الهوية"

– حيث يشير مصطلح "الهوية" في اللّغة العربية إلى جوهر الشيء ودقيقته ومرادفه في اللغة الأجنبية Identity، ومعناه التماثل أو التطابق ومنه لفظ الصفة (Identifiable)، بمعنى: يمكن تعريفه أو تحديد هويته ومنه الإسم (Identification) بمعنى : مماثلة أو مطابقة.

– أمّا إصطلاحا: فيشير الشعور بالهوية أن يحتفظ الفرد لنفسه بصورة لذاته فيه التماثل والإستمرار والذي يتطابق مع التماثل والإستمرار الذي يكوّنه الآخرون عنه[11]. وبالتالي فإن مفهوم الهوية يشير إلى نجاح الفرد في تحديد من هو، وما سيكون، إضافة إلى تحقيق الشخص تفرده وتقوية أدواره الإجتماعية، وإعادة تقويمه لعلاقاته بعالمه وبالآخرين، وتوجّهه نحو أهداف محدّدة[12].

– كما أن هناك عدة عوامل تعمل على تحديد هذه الهوية، كالاستعدادات الوراثية ، القيم والمعايير والتفاعل بين المراهق وأقرانه والنماذج السّلوكية التي يتلقاها سواءًا من الأسرة أو المؤسسات الإجتماعية ، في حين تتضمن الهوية العديد من المكونات، كالمكوّن الجسدي والجنسي، والمكون المهني، حيث تحوّل المهنة الفرد من طفل متلقي إلى فرد منتج، إضافة إلى المكون الدّيني ، الذي يعدُّ بالنسبة للفرد دليلاً ايديولوجيا فكريا لتشكيل هويته، ضف إلى ذلك المكوّن السياسي ، حيث أنّ الإلتزام بالقضايا السّياسية مدخلا ثابتا لتكوين فلسفة الحياة عند الفرد، كما أن وصول الفرد إلى إقامة علاقة مع الجنس الآخر يمثل الحجر الأساس للوصول إلى الهوية النمائية في هذا المجال، لتحقيق هوية المشاركة الإجتماعية.

لكن إذا فشل المراهق في الإجابة عن الأسئلة التالية (من أنا؟ وما دوري في هذه الحياة ؟ وإلى أين أتجه؟) ، وذلك من خلال محاولته اكتشاف أدواره الإجتماعية ومبادئه وأهدافه سواءًا على المستوى الشخصي أو الإجتماعي، تظهر ما يسمّى باضطراب تشكل هويّة الأنا، حيث يربط إريكسون Eriksson، أزمة الهوية بمرحلة المراهقة وبداية الشباب ، وفيها يعاني المراهق من درجة عالية من القلق ، وعدم الكفاية ، وضعف القدرة على اتخاد القرارات وحتى سوء العلاقات الإجتماعية، وقد يصبح المراهق يلعب أدوارا سلبية، فيتبنى سلوكات غير مقبولة اجتماعيا ولا قانونيا كتعاطي المخدرات أو قد يختار خيار الموت أو الحياة في بلد وثقافة غير ثقافة عن طريق الهجرة الغير شرعية، وهنا نذكر تعريف ل: ماير Mayer حول هذا المصطلح فيشير إلى أنّ أزمة الهوية هي النتيجة الحتمية المتوقعة للإخفاق في عملية تحديد الهوية، بمعنى عدم وضوح الرؤيا للفرد لاختيار مستقبله المهني والتعليمي، كما يتضمن ذلك الشعور بالإغتراب وعدم وجود الأهداف التي من أجلها تكون الحياة ذات معنى، بالإضافة إلى إضطراب الذات والوصول إلى هوية سلبية تفتقر إلى حميمية العلاقات البين شخصية[13]. وبالتالي فإن كلّ هذه المشاعر السلبية تدفع المراهق للتعبير عنها بسلوكات مختلقة من بينها الابتعاد أو الهجرة ولو كانت بطريقة غير قانونيه إذن:

- **لماذا يفكر المراهق في تبنيّ حلّ الهجرة غير الشرعية؟**
- **وكيف تكون "أزمة الهوية" سببا في ذلك؟**

يعيش المراهق في هذه الفترة العمرية صراعا مع نفسه، ومع الآخرين ومن أصعب ما يواجهه هو تطوير هويته الذاتية، فهو يعيش بين وجهات نظره أو أفكاره الذاتية، وبين ما يفرضه عليه الآخرين فينشأ لديه صراع داخلي نتيجة هذا التناقض، الذي قد يخلق لديه أزمة الهوية وهنا يطرح لديه مشكلة من أنا، ومن أكون؟ وهذا ما يؤكد فشل هذا المراهق في تحقيق هويته ، فهو يعاني من عدم وضوح الرّؤيا لاختيار مستقبل تعليمي أو مهنيّ ، وقد يتضمن أيضا شعورًا فبالاغتراب وعدم وجود الأهداف التي تكون من أجلها الحياة ذات معنى ، بالإضافة إلى اضطراب الذات والوصول إلى هوية سلبية، تفتقر إلى العلاقات الشخصية وقد يتعرض المراهق في هذه المرحلة إلى خيبات أمل وإحباطات سواءا في مجال دراسته أو حياته الاجتماعية سواءا الأسرية أو غيرها ، فيفشل في اكتساب شخصيته وهوية سوية، فكلّ هذه العوامل الضاغطة قد تدفع المراهق إلى البحث عن هويته وتحقيق ذاته في بلد آخر وفي ثقافة أخرى. فالهجرة غير

الشرعية أو السّرية أو غير القانونية، أو كما يسمّيها المراهق الجزائري " الحرقة" والذي يعني في مدلوله حرق كل الرّوابط التي تربطه بجذوره وهويته ، وكذا حرق للقوانين والحدود.

إنّ معالجة الهجرة غير الشرعية عند المراهق في علاقتها بموضوع أزمة الهوية، يمكن مناقشتها من عدّة أبعاد، فالعلاقات الأسرية المتصدّعة والرّعاية غير المتزنة والتنشئة الإجتماعية الأسرية غير الصحيحة، قد تكون سببا في لجوء المراهق إلى التنصل أحيانا كثيرة من ثقافته وحتى ربّما معتقداته الدّينية، لأنّ العلاقات الأسرية الأولية والتي تمثل الجانب الإجتماعي لتكوين الهوية، تلعب دورا أساسيّا في تقبل المراهق لهويته، فيتقبل ذاته والآخرين.

ومن أسباب هذه الهجرة أيضا شعور الفرد بالنبذ سواءا من والديه أو قبل محيطه الإجتماعي. إن الشعور بعدم الإستقلالية، عدم القدرة على الإنتماء للجماعة وللوطن، كلها أسباب تؤدي بالمراهق إلى الشعور بالقلق، الخوف من المستقبل والإحباط، وبالتالي البحث عن الهجرة إلى المجهول دون تفكير، ومهما كان الثمن ولو كان حياته لأنّه يعلم جيّدا ويدرك أنّ المشروع في الهجرة غير الشرعية عبر قوارب خشبية صغيرة وغير مجهزة تعني إمّا النجاح والوصول إلى المجهول وفي أغلب الأحيان هي طريق إلى الموت، وبالتالي ما يمكن استنتاجه من ذلك، أنّ الحياة غالية الثمن، إلاّ أنه بالنسبة لهذا المراهق هي رخيصة لأنه وضعها في معادلة غير متوازنة ونسبتها ضعيفة من حيث النجاح، فهو فقط يتطلع إلى تحقيق حلم النجاح الذاتي أو الإجتماعي، من خلال إيجاد عمل، أيّا كان هذا العمل، حتى ولو كان مذلا أحيانا، لآن العمل بالنسبة للفرد مكسب يحقق من خلاله مكانته الإجتماعية وتقديرا لذاته، من خلال الإعتراف به ونجاحه في مسؤولياته الفردية والإجتماعية.

خاتمة:

تعتبر الهجرة غير الشرعية عند المراهق محاولة منه لإيجاد معنى لحياته على المستوى الشخصي والإجتماعي لتحقيق ذاته، والعلاقة بين الهجرة غير الشرعية والمراهقة، في أنّ هذه المرحلة تعد مرحلة مركزية في حياة الفرد، وهي فترة حرجة في البحث الهوية، وأيّ مشاكل يتعرض لها هذا المراهق لابد أن تؤدّي به إلى سلوكات غير مقبولة لا إجتماعيا ولا قانونيا، ومن جملة التوصيات التي قد نقترحها في هذا الموضوع:

- الإهتمام بالمراهقين سواءا نفسيا أو إجتماعيا بدءًا بالأسرة، فالمدرسة ثم المؤسسات الإجتماعية الأخرى.

- منح المراهقين فرص للتعرف على قدرتهم من خلال المشاركة مثلا في مختلف الفعاليات الإجتماعية الرياضية والعلمية، لإكسابهم مهارات وخبرات لتخطي مشاكلهم.
- تنمية روح المبادرة والمواطنة لدى المراهق.
- توعية المراهق بخطورة الهجرة غير الشرعية وآثارها من خلال منابر عديدة كالمدرسة، المساجد ووسائل الإعلام المختلفة.

الهوامش:

[1] عبدات سمير: الهجرة غير الشرعية في الجزائر، خلية الإتصال، الجزائر، 2008، ص 10.

[2] معجم الكافي، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، ط3 ، بيروت ، 1994 ، ص 1055.

[3] Abdel Fath Mourad, Dictionnaire Mourad des termes : juridiques, économiques et commerciaux, p 944.

[4] . Vaisse Maurice, Dictionnaire de relations internationales au 20 eme siècle, édition Armand Colin, Paris, 2000, P 179.

[5] زوزو عبد الحميد، دور المهاجرين الجزائريين في الحركة الوطنية بين الحربين (1919-1939) الشركة الجزائرية للنشر والتوزيع، الجزائر ، 1984 ، ص 11.

[6] عبد الله على عبو ، الجهود الدولية لمكافحة الهجرة غير المشروعة ، مجلة الشريعة والقانون ، العدد 65، كلية القانون، جامعة الإمارات العربية المتحدة ، ص182 .

[7] المرجع السابق، نفس الصفحة.

[8] Saveur.B et autre, L'adolescent, l'âge de tempête, : guide de santé, Hachette édition Paris, 1991, p45

[9] , Joseph Leifet, Paul Juif, psychologie et éducation : psychologie de l'adolescent, Ed Fernand nathan, Paris, 1971, p 341

[10] حامد عبد السلام زهان، علم النفس الطفولة والمراهقة ، الطبعة4 ، عالم الكتب ، القاهرة ، 1992 ص 38.

[11] : أبو حطب، فؤاد صادق، نمو الإنسان من مرحلة الجنين إلى مرحلة المسنين، الطبعة2، المكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، 1990، ص 393.

[12] موسى أبو بكر، دراسة مقارنة لمستوى القلق وعلاقته بتحديد الهوية لدى المراهقين من المدخنين وغير المدخنين، رسالة ماجستير، كلية الآداب جامعة عين شمس ، مصر ، 1988 ، ص37.

[13] دعد الشيخ، الطالب المراهق و\ازمة الهوية ، مجلة إتحاد الجامعات العربية التربية وعلم النفس ، المجلد الرابع ، العدد الثاني ، 2006 ، ص6